النَّظَرِيَّةُ المُعْجَمِيَّةُ الْقَدِيمَةُ بَيْنَ الشُّمُولِ والتَّكيّف

Old lexical theory between inclusion and adaptation

د، فاتح مرزوق

مؤسّسة الانتماء: جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة

fatih28merzouk@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/08/11 تاريخ القبول: 2020/08/29 تاريخ النشر: 2020/11/06

ملخص:

يتناول هذا المقال جانبا أساسا من النّظريّة البلاغيّة، هذا المجال الواسع الّذي يبحث في معالم وأسس النّظريّة اللّغويّة، وبخاصّة في النّظريّة المعجميّة الّتي تهتم بتكييف علم المعاجم ضمن الدّراسات اللّغويّة الحديثة، والبحث عن معالمها ضمن القديم؛ أي: في التّوصيف المعجميّ القديم؛ لذا فإنّ النّظريّة المعجميّة من حيث معالمها ترتبط بالاتّساق الوارد ضمن المداخل اللّغويّة وتكيّفها ضمن الدّراسات الحديثة من حيث إدخالها في علم المفردات وغيرها؛ بله الحديث عن النّظريّة المعجميّة وعلاقتها بالمعجم الالكترونيّ أو المعجم التّاريخيّ وشروطه العلميّة.

الكلمات المفاتيح: النّظريّة، المعجميّة، التّكيّف، الاتّساق.

Summary: This article deals with a fundamental aspect of rhetorical theory, this broad field that searches for the features and foundations of linguistic theory, especially in lexical theory, which is concerned with adapting lexicology within modern linguistic studies, and searching for its features within the ancient; That is, in the old lexical description; Therefore, the lexical theory in terms of its features is related to the consistency contained within the linguistic approaches and its adaptation within modern studies in terms of its inclusion in vocabulary and others; Rather, it is to talk about lexical theory and its relationship to the electronic dictionary or the historical dictionary and its scientific terms.

Key words: theory, lexicography, adaptation, consistency.

مقدّمة: تعدّ النّظريّة في الدّرس اللّغويّ القديم قضيّة أساسيّة؛ كونها تمثّل المحور الرّئيس في إثبات العلميّة له؛ أضف إلى أنّها تجعله ذا قيمة في أوساط الدّراسات اللّغويّة عامّة، ناهيك التّطوّر الّذي تحدثه

فيه؛ لأنّ الدّرس اللّغويّ القديم ممّا هو معروف عرف بأنّه يخلو من العلميّة في أصوله الّتي بُني عليها؛ ولعلّ هذا ناتج من الآراء الّتي قيلت في الدّرس اللّغويّ؛ حيث إنّنا نجد من الباحثين من يميل إلى القديم فيبرهن على علميتها، ومنهم من يميل إلى الحداثة فينفي ما ورد فيها من علميّة، ومنهم من اتّخذ السّبيل الوسط؛ فيرى بأنّ التّراث لابدّ ألاّ يحدث قطيعة مع الدّراسات اللّغويّة الحديثة؛ لذا حتّى يتبيّن هذا الأمر كان قطعا تبيان المعالم الأساس في النّظريّة اللّغويّة؛ كونها تثبت العلميّة لأيّة نظريّة لغويّة؛ بل إنّها تبين الامتداد الحاصل في الظّواهر اللّغويّة ومدى استجابتها للتّطوّر الحاصل. وحتىّ يتبيّن ذلك أخذنا معالم النّظريّة الأساس وهي: الاتّساق والمنطق والتّأسيس والتكيّف والزّمان والمكان، حيث إنّ المتمعّن في النّظريّة العلميّة يلحظ أنّها تقوم على معالم أساسيّة؛ من الاتّساق والمنطقيّة، والتّكيف للنّظريّات اللاحقة؛ فالنّظريّة في حقيقة أمرها، إنّما تعدّ مفتاحا؛ لمعرفة تكيّف هذه النّظريات مع النّظريّات اللّغويّة الحديثة؛ أي: تمتدّ وتشمل لكلّ ما هو آت؛ ونحن من هذه المعالم لا نقصد نقض التّراث اللّغويّ؛ بل نحاول أنْ نثبت صدق هذه المعالم على التّراث من خلال ما نلمسه من النّقود -المبنيّة على أسس علميّة- للنّظريّة العربيّة القديمة من لدن المُحْدَثين؛ مظنّة منهم بأنّها تفتقد للمنهج العلميّ؛ رغم أنّها نظريّةٌ قائمةٌ بعلمائها ومدارسها ومناهجَ علميّةٍ مختلفةٍ تتناسب وفكرهم أنا ذاك. ومن النّظريّات الّتي لقيت حظّها من الدّراسة والتّقميش النّظريّة المعجميّة الّتي تطوّرت تطوّرا ملحوظا من خلال منهجها وتأسيسها وتكيّفها عبر العصور وشمولها للنّظريّات الحديثة وبخاصّة علم المفردات، وعلاقتها بالتّحديّات الحديثة التي برزت في مجال المعاجم الالكترونيّة.

ومن هذا المنطلق نروم الإجابة عن الإشكالية الآتية: **كيف يمكن لمعيار التّكيّف والشّمول إثبات الأسس العلمية للنّظريّة المعجميّة؟ وهل هناك امتداد للنّظريّة المعجميّة للدّرس اللّغويّ الحديث والتحديات الراهنة؟**

1.مفهوم النّظريّة: قدّمت المعاجم اللّغويّة تعريفاً للنّظريّة من منطلق ماديّ ومعنويّ كما قدّمت الدّراسات اللّغويّة بكلّ تشعّباتها تعريفاً اصطلاحيّا للنّظريّة من منطلق العلميّة، وما تحويه من شروط ومعالم.

1.1.لغة: ورد تعريف النّظريّة في لسان العرب **(لابن منظور)** بمعنى التّفكّر والتّدبّر الّذي يقع في الأجسام والمعاني؛ أيْ: في الأمور المجسّدة والمحسوسة؛ حيث يقول: "وإذا قلت: نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكيراً فيه وتدبّراً بالقلب... والنّظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان للأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر فهو للمعاني"[1] فالتّعريف اللّغويّ الّذي قدّمه (ابن منظور) يدلّ على أنّ النّظريّة فيها ما هو متعلّق

بالجانب المادّي وهو ما تراه الحواس بأنواعها ومنها ما يتعلّق بالجانب المعنويّ، وهو تحسّه بالبصير؛ الأمر فيه يُعرَف بالأحاسيس.

2.1.اصطلاحا: عرّفها (الجرجاني) بأنّها: "هو الّذي يتوقّف حصوله على نظر وكسب؛ كتصوّر النّفس والعقل والتّصديق بأنّ العالم حادث"[2]. وكأنّ هذا التّعريف يدلّنا على أنّ النّظريّة هي تلك الماهية الّتي يتوصّل بها إلى معرفة الواقع بحقيقة يقينيّة.

ويعرّفها (رفيق البوحسيني) على أنّها: "قوّة الكشف عن مبادئ الظّاهرة المدروسة وبواسطتها نتعرّف على المشاكل ونثيرها، ونبحث لها عن حلّ"[3].

2.نظريّات التّرتيب والتّصنيف في المعجميّة العربيّة: ونقصد من هذا العنوان إثبات أو تقديم أدلة علميّة للنّظريّة المعجميّة الّتي انتهجها المعجميّون العرب القدماء في بناء معاجمهم وبخاصّة الألفاظ؛ لأنّ المتمعّن في هذه المعاجم، يلحظ أنّ العلماء قد اهتدوا إلى منهجيّة علميّة دقيقة في ترتيب وتصنيف مواد المعجم، والهدف الأساس من هذا كلّه هو: حفظ اللّغة وصونها بطريقة تيسر عمليّة البحث فيها.

والجدير بالذّكر أنّ بناء المعجم كان مبنيّا على نظريّة علميّة رياضيّة بداءة من (الخليل بن أحمد الفراهيدي) إلى (أبي عمرو الشّيباني) في مدرسة النّظام الألفبائي بحسب الحرف الأوّل والثّاني والأخير؛ حيث إنّ هؤلاء المعجميّين برعوا في وضع معاجم دون استعمال آلات، ولربما ما لم يستطع أن تفعله الآن مؤسّسات لها من الّتقانات ما لها.

من هذه التّوطئة اليسيرة سنحاول أنْ نبيّن أهمّ الأسس العلميّة الّتي احتذاها وانتهجها العلماء في بناء معاجمهم بحسب التّطور الحاصل في بناء، وترتيب وتصنيف المعاجم العربيّة.

1.2. نظريّة التّقاليب: إنّ الحديث عن قضيّة نظام التّقاليب هو الحديث عن العالم الفذّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (170ه) هذا العالم العربيّ الّذي كان همّه جمع المواد اللّغويّة في كتاب أن يصل إلى ثروة قرة تحمي اللّغة وعليه؛ نقول: إنّها مدرسة سعت إلى ترتيب مواردها اللّغويّة بالطّريقة الصّوتيّة؛ أيْ: عن طريق مخارج الحروف، ولعلّ اسم كتابه (العين) فهو دليل على ذلك؛ حيث استهلّ معجمه بحرف (العين) وهو أقصر مخارج الحروف، وهو أوّل من ابتدع هذا النّظام في ترتيب المواد، وهذا ما صرّح به (الرّديني) قائلا: "وأوّل من ابتدع هذا التّرتيب واستعمله (الخليل بن أحمد الفراهيدي) الّذي عاش في القرن الثّاني للهجرة؛ وهو من أئمة اللّغة والأدب، وواضع علم العروض"[4]. ويقول الباحث (يوسف فوزي الهابط) عن (الخليل بن

أحمد الفراهيدي) في ذكائه ونبوغه واهتدائه لهذا المنهج: "وكان أنْ فكّر رجل من نوابغ العرب، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في أسلوب يؤدّي إلى جمع العربيّة، وتدوينها بين دفتر الكتاب ووضع نهجاً يقدّم على قواعد رياضيّة بحتة، وإذا طبقت كما أراها أن تطبق، أمكن إيجاد معجم يحفل بألفاظ اللّغة العربيّة بأسرها"[5].

وما يحسن ذكره من قول الباحث (يوسف فوزي الهابط) أنّ (الخليل) اهتدى بطريقة رياضيّة بذكائه دون وسائل ففعل، ومن هنا يشير أنّ البحثة والمؤسّسات لو عملت ما عمله الخليل لما وقعنا في حيرة من جمع شتات ما تشتت من اللّغة؛ لأنّه يشير ثانية إلى أن أصحاب هذا المنهج الصّوتي التّقليبي قد تكاد تحيط بكل ألفاظ العربيّة؛ إذ يقول: "وتكاد الإحاطة بكلّ ما ألفه علماء العربيّة في اللغة "[6].

وقد أشار من قبل ذلك إلى (الخليل) بإشارة مخارجها حين قال: "مرتبّاً إيّاها بترتيب مخارجها، كما فعل الخليل بن أحمد، وهؤلاء هم رواد المعجم العربيّ الأوائل "[7].

ولا بدّ أن لا ننكر جهود ما فعله الأوائل؛ لأنّه اللّجنة الأساس في تطوير المعجم العربيّ بل هو الحجر الأساس؛ لأنّه ما بني على أصل متين سيكون قدوة دون شكّ متيناً وقويماً لا خرم فيه ولا لثم، ومن ثَمّ عدت هذه المعاجم الذّخيرة الأساس في علم المعاجم، ولا غرو في ذلك فالخليل رائد المعجمات في العربيّة، فقد ابتكر طريقة جديدة عن مخارج الحروف؛ كونه كان عالما بعلم الموسيقى؛ لأنّ الخليل لما بنى هذا المنهج العلميّ الدّقيق إنّما أراد أن يرفض التّرتيب الّذي سنّه نصر بن عاصم اللّيثي (90هـ) "لأنّه كان مبنيّا على الرّسم والكتابة، في حين نجد اللّغة تتكامل بجانبين اثنين: الكتابة والصّوت؛ فالمكتوب يكمل بالمنطوق واللّغة، كما هو بائن قوامها: الأداء والنّطق وتتلاحق اللّغة بتلاحق الحروف وَفق ترتيب سنه الخليل في كتابه (العين).

وليس بدعاً على (الخليل) أن يخرج بهذه الطّريقة العلميّة، وما دامت أنّها تحتكم للعلميّة وعلميتها في أنّها أخرجت من عقل العربيّ إلى الواقع، وهذا هو حال الخليل؛ فالخليل تحار فيه العقول، وتبعد كلّ عربيّ مسؤول، والأمر في ذلك أنّه استطاع أن يجيب عن أسئلة مشكلة في ذهن البشري، وقد أشار إلى هذا الإمام (السّيوطي) عندما قال: "وقد روي عن الخليل أنّه: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنّه يلحقها النّقص والتّغيير والحذف، ولا بالهاء؛ لأنّها مهموسة خفيّة لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثّاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين "[8].

إنّ طريقة المخارج الصّوتيّة الّتي اعتمدها الخليل إنّما كانت مبنيّة على الذّوق الجميل فقد كان "ذواقة إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثمّ يظهر الحرف، نحو، أبْ، أتْ، أحْ، أعْ، أغْ؛ فوجد (العين) أدخل الحروف في الحلق؛ فجعلها أوّل الكتاب، ثمّ ما قرب منها الأرفع؛ حتّى على آخرها وهو الميم"[9].

وتظهر عبقريّة (الخليل) في معرفة مخرج الحرف وحيّزه؛ حيث استطاع أنْ يستند إلى مخرج الهمزة لمعرفة المخارج والمدارج الأخرى من الأصوات فلم يقل عن الهمزة في مخرجها؛ بل بدأ بحرف (الباء) وما بعده. ويتّضح أنّ (الخليل) كان على دراية تامّة بما يفعل وليس عبثا أو من باب الصّدفة؛ بل الذّوق، وخير دليل على ذلك أنّه لم يستند لمعرفة مخرج "الهمزة" بل إلى معرفة مخارج الحروف الأخرى استناداً لمخرج حرف آخره وهو (الهمزة) ولعلّ هذه الطّريقة تدلنا على أنّ (الخليل) من خلال هذه الطّريقة استطاع أن يعرف صفات الحروف؛ فالرّجل اهتدى في معرفة مخارج الحروف بإدخال أو إظهار حرف الهمزة، فلعلّه قصد حرفة الصّفة الّتي تصاحب الحرف عند حدوثه.

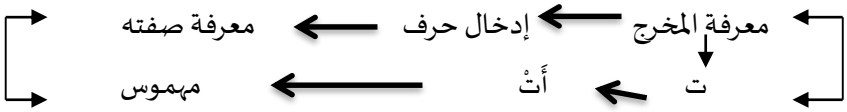

2.1. النّظريّة الألفبائيّة: تعدّ هذه النّظريّة هي الأخرى تعتمد على الألفبائيّة، وقد اعتمدت على الحرف الأوّل والثّاني من الكلمة، ولكن هذه المدرسة احتفظت بنظام الأبنية من الثّنائي والثّلاثيّ والرّباعيّ والخماسيّ، وقد تزعم هذه المدرسة ابن دريد، وهو أحد أئمة اللّغة والأدب. وقد قال فيه (السّيوطي): "من مشاهير كتب اللّغة الّتي نسجت على منوال العين كتاب الجمهرة لأبي بكر بن دريد "[10]. ويرى أنّ (الخليل) قد أتعب من يقرأ هذا الكتاب ويصيبه العيا، وقال كذلك: "قد ألف (الخليل بن أحمد الفراهيديّ) رضوان الله عليه كتاب (العين) فأتعب من تصدّى لغايته وعز من سما إلى نهايته؛ فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلّف، وكلّ من بعده له تبع، أقرّ بذلك أم جحد، ولكنّه -رحمه الله- ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته، وحدّة أذهان أهل دهره"[11].

ويتبيّن من قول (السّيوطي) أنّ (ابن دريد) يرى في متن (الخليل) أنّه صعب وطويل سلمه وذلك من خلال المنهج المستعمل؛ لأنّ منهج مخارج الأصوات صعب، ولا بدّ أن يكون على درايته بهذا الأمر إلاّ ما أمكنه أن يبحث في الكتاب، وبخاصّة أنّه أكثر من التّقاليب الّتي تجعله يكثر فيه المستعمل والمهمل؛ لذا فقد ألّف كتابا سمّاه:(الجمهرة) حيث يقول (ابن دريد) في ما نقله السّيوطي: "وأملينا هذا الكتاب والنّقص في النّاس

فاشر، والعجز لهم شامل، إلاّ خصائص كدراري النّجوم في أطراف الأذى فسهّلنا وعره، ووطأنا شأزه، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة؛ إذ كانت بالقلوب أعلق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامّة بها كعلم الخاصّة، وألقيناه المستنكر الوحشي واستعملنا المعروف، وسمّيناه: (كتاب الجمهرة) لأنّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشيّ المستنكر "[12]. إذاً (ابن دريد) المقصد من تأليف للكتاب هو ألاّ يقع فيما وقع فيه من سبقه؛ لأنّها مؤلّفات صعبة البحث، ولربّما يتداولها الخاصّة فقط؛ لذا ألّف هذا (الجمهرة) من باب التيسير، والتّخفيف على العامّة؛ بله اختيارَ الجمهور من كلام العرب وتفادي الحوشيّ والغريب الّذي وقع فيه من سبقه في التّأليف.

ويلحظ النّاظر في الكتاب (الجمهرة) أنّ أتباعه وروّاده اعتمدوا على غير طريقة الخليل الصّوتيّة؛ بل اعتمدوا على النّظام الألفبائيّ (أ، ب، ت) لأنّه يرى أنّ التّرتيب الصّوتيّ فيه صعوبة عند البحث؛ لذا سهّل في عمليّة البحث؛ متخذاً نهجاً جديدا، يقول (عبد الكريم الرديني): "ويلاحظ على هذه المدرسة أنّها لم تتّبع نظام ترتيب الحروف بحسب مخارجها الّذي سارت عليه المدرسة السّابقة؛ بل اتّبعت نظاماً جديداً هو ترتيب الكلمات، غير أنّها لم تتخلّص من التّقاليب، ومن الأبنية الّتي أشاعت الصّعوبة في المعجمات"[13]. يشير (محمود علي عبد الكريم الرّديني) إلى أمر أساس وهو تغيير طريقة المنهج عند المدرسة الألفبائيّة، ولكن في حقيقة أمرها، وقعت فيما نهجه ممّن سبقه في التّأليف المعجميّ؛ مظنّة من (ابن دريد) أنّه سلم ممّا وقع فيه سابقوه ولكن هيهات هيهات، إنّما هو تغيّر في المنهج ليس إلاّ. وكأنّه لم يجد بدّا من ذلك؛ ودليل ذلك أنّه لم يستطع أن يبين طريقة في نظام التّقاليب أو الأبنية؛ لأنّه وجد الأصل مبنيّاً عند (الخليل) فراح يغيّر في المنهج؛ تاركاً ما بقي من ذلك، ولذلك بمجرد النّظر في مقدّمته نلحظ أنّها لم تغير ما أتى به الخليل، إلاّ فيما ندر منها؛ حيث ذكر (صفات الحروف وأجناسها وائتلافها وما يحسن، ويتبع من الإدغام. وهلم جرى من القضايا القرآنية.

3.النّظريّة المعجميّة عند المحدَثين: والواضح أنّ النّظريّة المعجميّة، تقوم على الوحدات المعجميّة، وما يعتروها من علائق عضويّة؛ وهذه الوحدات إنّما تقوم على المكوّنات الثّلاثيّة: الصّوت والصّرف والدّلالة فتشكّل ما سمته الباحثة (فردا لغويّا) وفي هذا تقول: "إنّ هذه المكونات الثّلاثة: الصّوتيّ والصّرفيّ والدّلاليّ هي مكوّنات أساسيّة في اكتساب الوحدة المعجميّة ما نسمّيه فرديتها في نظام اللّغة؛ لتصبح (فردا لغويّا) أي إذا كانت هذه المكوّنات المفردة، ونظريّة المعجم هي نظريّة المفردة"[14]. وعليه؛ فإنّ الوحدات المعجميّة تستند

إلى المكوّنات الصّوتيّة والصّرفيّة والدّلاليّة؛ حتّى تؤدّي معنى، ومن هنا تعدّ الوحدات المعجميّة الرّكن الأساس في النّظريّة المعجميّة:

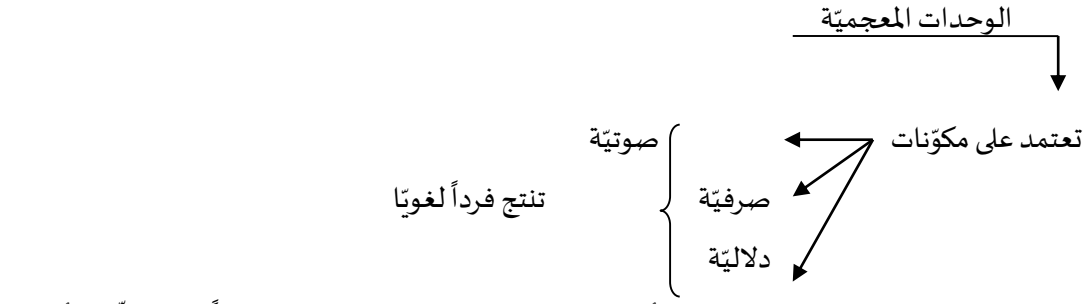

وقد حاولت الباحثة (زاهية عثمان) أن تبيّن مكوّنات النّظريّة المعجميّة؛ انطلاقاً من مسلّمة "أنّ المعجم جزء من اللّغة، تشكّل الكلمات أو الوَحدات المعجميّة مادّة المعجم، ومن ثَمّ يترتّب على ذلك وجود شبكة من العلاقات العضويّة بين هذه المصطلحات من ناحية، والعمل المعجميّ وتصوّر ماهية المعجم من ناحية أخرى، وذلك من حيث مفهوم اللّغة، ومكوّناتها ووظائفها وتحليل الوَحدات المعجميّة"[15] . تشير الباحثة إلى العناصر الأساسيّة في بناء نظريّة المعجم، كما تنبّه إلى العلائق الّتي تربط الوحدات المعجميّة؛ لتحقّق فيما بعد الدلالة المرجوّة؛ لذا رأت أنّ النّظريّة المعجميّة تركن إلى مكوّن أساس وهو المفردة، والمفردة في ذاتها تكتسب قدرتها من المكوّنات الثّلاثة.

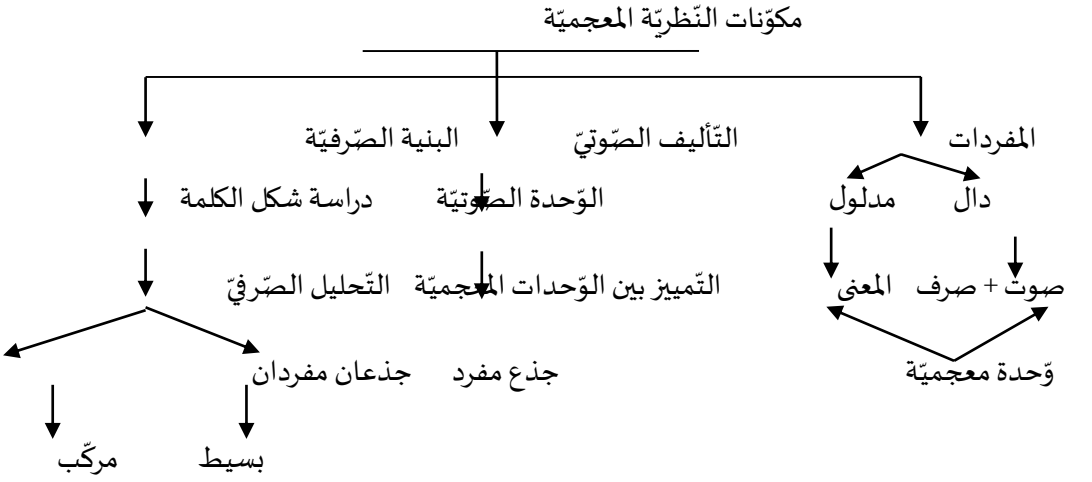

ويوضّح المخطّط مكوّنات بناء النّظريّة المعجميّة؛ حيث إنّها تقوم على نظريّة المفردات؛ كونها الوحدة المعجميّة المدروسة في المعجم، وهي ركيزة التّحليل اللّغويّ، كما يبيّن المخطّط المكونات الأساسيّة، الّتي ترتكز عليها نظريّة المفردات من خلال التّأليف الصّوتيّ الّذي يقو على الوحدة الصّوتيّة، والّتي تعمل على التّمييز بين الوحدات المعجميّة، وكذا المكوّن المتعلّق بالبنية الصّرفيّة؛ إذ يهتمّ بالجانب الشّكليّ للكلمة، والّذي يقوم عليه فيما بعد التّحليل الصّرفيّ بجذريه البسيط والمركّب.

وممّا نخلص إليه من موقف الباحثة (زاهية عثمان) أنّ البحث في النّظريّة المعجميّة هو التّركيز على المستويات اللّغويّة في النّظريّة المعجميّة، وبيان العلاقات العضويّة الّتي تربط بين المكوّنات الثّلاثيّة: الصّوتيّ والصرفيّ والنّحويّ؛ لأنّ المعجميّة استفادت منها أيّما استفادة؛ بل إنّها تعمل على تطوير النّظريّة المعجميّة من قالبها التّنظيريّ على جانبها التّطبيقيّ؛ لأنّ قضيّة المعجم لم تبقَ منوطة بالكلمات المبثوثة في المعاجم القديمة؛ بل أصبحت منوطة بالمجتمع اللّغويّ والمتكلّم للّغة ومستعملها هو أحدهم؛ لذا كان لزاما الخروج النّمطيّة للولوج في العالميّة.

4. معيار التّكيّف في النّظريّة المعجميّة: ونقصد بالتّكيّف في النّظريّة المعجميّة تلك المعطيات القارّة في أبعادها، المتغيّرة في دلالتها بحسب العصور، وبحقيق نلمس ذلك في الإنجازات الّتي قدّمها المعجميّة العرب؛ وبخاصّة (الخليل بن أحمد الفراهيديّ) إذ إنّه استطاع أن يتّخذ منهجا يعتمد فيه على الطريقة الرّياضيّة لحصر الوحدات المعجميّة في (معجم) مع العلم أنّ الرّجل لم يكن يملك تقانات ولا آلات، وهذا واضح في نظام (التّقاليب) ولعلّ تلك الطّريقة بقيت دلالتها حاصلة إلى عصرنا هذا، هذا العصر الّذي يشهد تطوّرا ملحوظا، وبخاصّة التّقانات الحديثة.

المعالجة الآليّة للمعجم: إنّ العصر الرّاهن يستلزم منّا التّفاعل معه؛ كون العصر عصر التّقانات الحديثة، وزحمة العولمة؛ لذا كان علينا لزاما أنّ نمتطي مركب بكلّ تقاناته؛ إيمانا منّا بأنّ اللّغة لا ترتقي إلاّ إذا دخلت عتبة الحوسبة والمعالجة الآليّة؛ والصّناعة المعجميّة لا تتطوّر إلاّ بإدخالها في خضمّ الحوسبة.

وقد أشار الباحث (صالح بلعيد) إلى ضرورة تفاعل الصّناعة المعجميّة بالحوسبة والمعالجة الآليّة؛ حيث إنّ تطوّرها منوط بها كون "الحاسوب في نظره يخدم اللّغات في التّحليل والإحصاء وفي صناعة المعاجم الالكترونيّة، وفي التّرجمة الآلية، وفي تعليم اللّغات مع الاستناد إلى ما تتطلّبه الصّناعة المعجميّة من:

- اعتماد الواقعيّة العلميّة للنّظريّة المعجميّة؛
- تخزين كلّ كلمة بطريقة نمطيّة، وفي مكانها المناسب؛ لاسترجاعها وقت الحاج؛

- الانفتاح على كلّ المجالات المعرفيّة؛
- الإفادة من كلّ اللّغات المتقدّمة؛
- التّعويل على الحاسوب في كلّ الخطوات"[16]. يرى الباحث (صالح بلعيد) ضرورة إدخال المعجميّة في المعالجة الآليّة؛ بل بات لزاما، وهي دعوة جديدة ينشد فيها برمجة الصّناعة المعجميّة في المعلوماتيّة؛ فالمحتوى الالكترونيّ يحفظ اللّغة؛ بل إنّه يعمل على مسايرتها مع التّطوّرات الرّاهنة، ومن ثَمّ تدخلها العالميّة، وتخرجها من المحليّة؛ فالعصر عصر الصّورة والصّورة في اللّغة، وهذا ما بيّنه الباحث (صالح بلعيد) قائلا: "وفيه الجمع بين المحتوى الرّقميّ والبرمجيّات، وقراءة الأدب قراءة آليّة؛ فعصر الصّورة هو الصّورة في اللّغة، والبرامج روح الكبتار؛ فنحن نسعى للعمل على اقتراح حوسبة اللّغة العربيّة، ومعالجتها آليّا"[17]، يدعو الباحث (صالح بلعيد) للنّهوض باللّغة العربيّة من خلال المحتوى الرّقميّ، وبرمجة المعاجم كذلك في هذه التّقانات الحديثة.

ويظهر من خلال قول الباحث (صالح بلعيد) أن تبرمج اللّغة ضمن الحوسبة الآليّة لحفظها وصونها؛ فالعصر عصر الحوسبات، واللّغة لها حظّها في ذلك، وبخاصّة إذا قرن الأمر بالمعاجم؛ لأنّ المعجم يحفظ الوحدات المعجميّة؛ فقد ذكر في السّياق نفسه عن ضرورة إدخال المعاجم في الحوسبة؛ من أجل الوصول إلى (معاجم آلية) كما عبّر عنه في قوله: "... التّطبيقات الّتي تقوم على النّظم اللّغويّة؛ والّتي تشمل:

- المعاجم الآليّة؛
- التّرجمة الآليّة؛
- الإحصاء اللّغويّ؛
- التّدقيق اللّغويّ؛
- التّشكيل الآليّ؛
- الفهرسة اللّغويّة والآليّة"[18] يظهر الباحث (صالح بلعيد) أنّ مستقبل اللّغة العربيّة هو إنشاء معاجم آليّة تخضع للمعايير العلميّة الدّقيقة؛ بحيث تستطيع أن تخرجها من المحليّة إلى العالميّة وعالميتها في إنشاء (معجم حاسوبيّ) ولعلّ هذه الدّعوة الّتي يقصدها الباحث (صالح بلعيد) إنّما تستدعي تضافر جهود نخبة من المثقّفين، ولا نقول اللّغويّين فقط؛ بل في كلّ المجالات (المهندسين والرّياضيّين) وغيرها.

إنّ نظرة (صالح بلعيد) نظرة استشرافيّة لواقع اللّغة العربيّة، والمعاجم خاصّة وبحقيق هو كذلك؛ ولا أدلّ على ذلك، ما فعله (الخليل) في عصر لم تتوافر عندهم هذا الزّخم العلميّ إلاّ أنّهم استطاعوا أن ينجزوا ما لم تستطع أن تنجزه مؤسّسات لغويّة مع هذه التّقانات؛ وقد صرّح بهذا الباحث (صالح بلعيد) في وقوله: "فالبرمجيّات رفيقة دائمة تصاحب العتاد خلال مراحل ابتكاره وتصميمه واستخدامه، ونعلم أنّ الآلة صمّاء فارغة؛ فالمستعمل لها هو الّذي يُبرمجها، ويبعث الحياة في طرقها وطرائقها باستعمال البرامج النّظاميّة"[19]. يتبيّن أنّ مسألة نظام المعاجم الحاسوبيّة تحتاج إلى تضافر الجهود؛ فهي ليست مهمّة رجل واحد في تخصّص واحد؛ بل لا بدّ من التّكاتف والتّكافل في ما بين التّخصّصات اللّغويّة منها والعلميّة، وقد أشار (أحمد عمر مختار) إلى ضرورة الاتّحاد قائلا: "إنّنا ما زلنا نعيش في عصر المعاجم الفرديّة، وهو عصر قد انتهى بالنّسبة للمعاجم، وحلّ محلّه عصر (المعاجم الجماعيّة) بعد اتّساع مجالات اللّغة، وتعدّد استخداماتها العلميّة والفنيّة... ولكن إخراج معجم في الحديث يعتمد على لغة العلوم والآداب والمعارف المختلفة لا يمكن لباحث واحد أو مجموعة صغيرة من الباحثين الإلمام بها"[20].

إنّ الرّأي الّذي طرحه (أحمد عمر مختار) إنّما المفاد منه مواكبة العصر في التّطور اللّغويّ الآليّ؛ أي: أنّنا لا بدّ من برمجة المعاجم اللّغويّة على حسب الحاسبات؛ بغية إنشاء (قاموس حاسوبيّ) يتساير ومتطلّبات المجتمع اللّغويّ، وبحقيق هو الأمر المنشود؛ لأنّ عصر (الخليل) غير عصر فالمتطلّبات تغيّرت، والمستجدّات لا تزال حاصلة، وعليه؛ فلا بدّ من اللّحاق بالرّكب وإلاّ أصبحنا ممّن عفا عنهم الزّمان، ويقال فينا: قد كانوا هنا ورحلوا.

2.2.4. المعجم الحاسوبيّ/ الالكترونيّ: إنّ ممّن أشار إلى حوسبة المعاجم، وإدخالها في (قاعدة البيانات) (عبد الرحمن الحاج صالح) ونظرته في ذلك نظرة الباحث (صالح بلعيد) حيث أشار إلى تقرير موسوم بـ(تقرير حول مستلزمات بناء قاعدة آليّة للمفردات العربيّ) وهو تقرير انعقد اجتماعه في القاهرة حول برمجة المفردات اللّغويّة في العلاج الآليّ ويدخل هذا التّقرير ضمن الأبحاث الّتي تهتمّ بالجانب العلميّ للنّظريّة اللّغويّة عامّة، والمعجميّة خاصّة ، والبغية منه "ضرورة الاعتماد على نظريّة لغويّة ناجعة تحترم خصائص العربيّة وتستجيب في نفس الوقت لمتطلّبات الحاسوبيّات"[21] يشير (عبد الرحمن الحاج صالح) رحمه الله إلى أنّ المعالجة الآليّة إنّما هي إضافة لتطوير اللّغة العربيّة والمحافظة على مفرداتها مع مراعاة خصائص هذه اللّغة؛ أي: أنّها لا تخلّ بقواعد ومميزات اللّغة؛ بل هي امتداد لما وضعه الأوائل.

وقد بيّن (عبد الرحمن الحاج صالح) رحمه الله إلى فكرة انطلاق (المعجم الآليّ) من ضرورة:

- حوسبة المعجم العربيّ من خلال معالجة المشاكل؛
- اعتماد اللّغة الحديثة بمعانيها المستحدثة؛
- الاكتفاء بالشّائع والمتواتر؛
- ضرورة التّصنيف الدّقيق؛
- الاعتماد على قواعد التّرتيب والتّصنيف والتّوليد"[22] إنّ هذه الانطلاقة -في إنشاء معجم آليّ عربيّ- يثبت النّوايا الّتي يسعى إلى تحقيقها الباحثون؛ لأنّ المادّة موجودة وطرق التّرتيب حاصلة لم يترك المعجميّون الأوائل إلا بيّنوها؛ لأنّنا لحظنا أنّ القدماء اتّبعوا منهجيّة في ترتيب موادهم اللّغويّة، ومن ثمّ لا إشكال في التّرتيب، ولعلّ التّرتيب الّذي أراد أن يتّبعه الباحثون في بناء المعجم الآليّ، استقرّ على أمرين هما:

طريقة ترتيب المعجم الآليّ/ المحوسب: ← التّرتيب الأبجديّ.
↓ التّرتيب الجذريّ (الأصل ميزة العربيّة)

ونلحظ من طريقة التّرتيب الّتي اتّبعها الباحثون في (المعجم الآليّ) هي الطّريقة الّتي سنّها الأوائل في ترتيب وحداتهم المعجميّة، وهذا دليل على أنّهم لم ينطلقوا من الفراغ، وإنّما من الأصول؛ لأنّها من خصائص العربيّة.

وأشار (عبد الرحمن الحاج صالح) إلى الآليّة الّتي يتمّ بها برمجة المواد اللّغويّة؛ إمّا أتكون عن طريق: تخزين المعلومات في الحاسوب، أو إنشاء قاعدة معطيات إفراديّة وهو العلاج الآليّ للنّصوص؛ حيث إنّ القاعدة مبنيّة على ضوابط وقواعد، وإمّا إيجاد معطيات وأنماط رياضيّة وهنا إشارة إلى أنّ (الخليل) قد فتح الطريقة الرّياضيّة في ترتيب المواد اللّغويّة.

حوسبة المعجم ← تخزين المعلومات.
↓ قاعدة معطيات إفراديّة (العلاج الآليّ للنّصوص).
↓ إيجاد معطيات/ أنماط رياضيّة.

إنّ المهمّ من كلّ هذه الضّوابط العلميّة؛ إنّما يلج ضمن ما سمّاه (عبد الرّحمن الحاج صالح) بـ(التّكيّف والمزامنة) للتّطوّرات الحاصلة؛ لأنّ "الشّعور بضرورة تكيّف العربيّة وبتطوير أدوات التّعبير بها كتابة واصطلاحا، وغير ذلك بحسب ما تقتضيه التّحوّلات الاجتماعيّة والثّقافيّة في عصرنا الحاضر لهو أمر حاصل لا محالة"[23]. ويذكر في موضع آخر أهمية المزامنة والمسايرة اللّغويّة بأنّها ضروريّة ولا مفرّ منها؛ وذلك

في قوله: "إنّ المزامنة والمسايرة اللّغويّة الكامنة، هي من أهمّ شروط التّقدّم"[24]. نلحظ أنّ المزامنة العلميّة باب لمسايرة التّطور، ولكن ليس بأمنيات تقال؛ بل لا بدّ من الإيمان بأنّ إنشاء (معجم آليّ) يحتاج إلى عمل جبّار حتّى تظهر نتائجه، وتتحقّق مقاصده.

إنّ رؤية (عبد الرحمن الحاج صالح) لمعالجة التّراث اللّغويّ معالجة آلية لا ينقص من التّراث شيئا؛ بل لا بدّ من رؤية الواقع اللّغويّ؛ لأنّ "هذا الّذي جاء به علماؤنا قديما هو بلا شكّ جليل مفيد؛ إذ كَفَوْناَ إلى حدّ ما البحث عن أهمّ القواعد، ولكن الاتّكال على ما تركه أجدادنا الأبرار وإغلاق باب الاجتهاد عليه هو أنجع الوسائل لتجميد الفكر"[25]. ما يمكن أنْ نخلص إليه من آراء (عبد الرّحمن الحاج صالح) أنّ الدّراسات الحديثة قدّمت الكثير، ولا بدّ من استغلالها والاستفادة منها عن طريق التّكييف الّذي يكون بالمزامنة والمسايرة؛ فإذا تحقّق التّكيّف؛ فلا ريب أنّ التّطوّر للنّظريّة اللّغويّة ستحقق لا محالة ولكن دون البكاء على الماضي، ورؤية القيم شيئا مقدّسا لا يمكن المساس به، ولكن لابدّ من تطويره ومسايرته المعالجة الآلية الحديثة؛ وبخاصّة في مجال (المعجم).

الخاتمة: تناول هذا المقال ميسماً من مياسم النّظريّة اللّغويّة، وهو النّظريّة المعجميّة هذه النّظريّة الّتي أقام بنيانها المعجميّون الأوائل، على أسس دقيقة كلّ بحسب منهجه؛ ممّا فتح المجال للتّكيّف مع المستجدات الحديثة، وبخاصّة ما تعلّق بالدّراسات اللّسانيّة الحديثة؛ الّتي تسعى لتحنين اللّغة في عصرها الرّاهن، لتشمل فيما بعد كلّ الأنماط اللّغويّة، ومنه نخلص للآتي:

أ. معجم عربيّ قديم:

- اعتماده على المنهج: الصّوتيّ والألفبائيّ والأبجديّ؛
- اعتماده على المستوى الصّرفيّ والدّلاليّ والنّحويّ؛
- معرفة الجذر للوحدة المعجميّة؛ لأنّه الأساس في معرفة البنية للمفردة؛ بل إنّه يعمل اكتشاف البنى الأخرى للكلمة.

ب. معجم محوسب/ آليّ:

- إتّباع التّرتيب الجذريّ، وهو الأصل/ التّخزين للوحدات المعجميّة؛
- إدخال البرمجة الرّياضيّة، الّتي تعمد على الأنماط الرّياضيّة المختلفة؛
- التّركيز على المتداول من اللّغة؛
- مراعاة خصائص اللّغة العربيّة، وضبط قواعدها.

الهوامـــــش

[1] محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ط3. بيروت: 1999، دار إحياء التّراث العربيّ، ج4، مادّة (صرف)، ص180.

[2] محمد السيّد الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: محمد الصّديق المنشاوي، د.ط. القاهرة: د.ت، دار الفضيلة ص203.

[3] رفيق البوحسينيّ، معالم نظريّة للفكر اللّغويّ العربيّ (مقاربة ابستمولوجيّة)، د.ط. د.ت: الدار البيضاء-المغرب أفريقيا الشّرق، ص113.

[4] محمود علي عبد الكريم الرّديني، المعجمات العربيّة دراسة منهجيّة، ط3. الجزائر: 2006، عين مليلة، دار الهدى ص41.

[5] يوسف فوزي الهابط، المعاجم العربيّة موضوعات وألفاظ، ط1. 1996، الولاء للطّبع ص35.

[6] المرجع نفسه، ص36.

[7] المرجع نفسه، ص36.

[8] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد أبو الفضل وآخرون، ط1. بيروت: 2004 المكتبة العصريّة، ج1، ص78.

[9] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائيّ د.ط. د.ت، ص47.

[10] جلال الدّين السّيوطيّ، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ص80.

[11] المرجع نفسه، ص80.

[12] المرجع نفسه، ص80.

[13] محمود علي عبد الكريم الرّديني، المعجمات العربيّة دراسة منهجيّة، ص67.

[14] المرجع نفسه، ص320 فما بعدها.

[15] المرجع نفسه، ص319 فما بعدها.

[16] صالح بلعيد، في الأمن اللّغويّ، د.ط. الجزائر: 2010، دار هومه، ص183.

[17] صالح بلعيد، كلمات في المحتوى الرّقميّ والبرمجيّات، مجلّة الممارسة اللّغويّة في الجزائر، أعمال الملتقى الوطنيّ حول: المحتوى الرّقميّ باللّغة العربيّة والبرمجيّات أيّام 18-19-20 نوفمبر 2013، الجزائر: 2013، منشورات مختبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر عدد خاصّ22.

[18] المرجع نفسه، ص21.

[19] صالح بلعيد، كلمات في المحتوى الرّقميّ والبرمجيّات، ص22.

[20] أحمد عمر مختار، البحث اللّغويّ عند العرب مع دراسة لقضّية التّأثّر والتّأثير، ط6. القاهرة: 1988، عالم القاهرة، ص302.

[21] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، د.ط. الجزائر: 2007، موفم للنّشر،ج1، ص97.

[22] المرجع نفسه، ج1، ص98 فما بعدها.

[23] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص111.

[24] المرجع نفسه، ص112.

[25] المرجع نفسه، ص114.